

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كُتُبَهُ، وأرسل به رُسُلَهُ، فلا يقوم الدين إلا به، فإن صلاح البلاد والعباد والمعاش والمعاد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله عز وجل في صفة نبينا ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فنبينا ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب وحرّم كل خبيث، فبه أكمل الله الدين.

- ١ -

ووصف الله الأمة بما وصف به نبيّها فقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فبالأمر والنهي صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فهم أنفعهم لهم، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيه عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

- ٢ -

الْمُنْكَرِ ﴿[التوبة: ٧١]﴾. كما أن صفة أهل النفاق على الضد من ذلك قال تعالى:

﴿الْمُتَفِقُونَ وَالْمُتَفَقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿[التوبة: ٦٧]﴾.

ووصى لقمان ابنه بذلك قال تعالى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ

وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان]،

ووصف الله الملعونين من بني إسرائيل فقال عز وجل: ﴿كَانُوا لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

- ٣ -

فعلى ولاية أمر المسلمين من الأمراء والعلماء الأمر والنهي لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿[الحج: ٤١]﴾.

فلا يسقط الفرض إلا بقيام جماعة منهم بهذه الشعيرة كما قال تعالى:

r | p o n m l k j i h g f ﴿

u t s ﴿[آل عمران]﴾، فلا فلاح للمسلمين إلا بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

- ٤ -

قال أهل العلم: (كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء: إمام عادل، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى). ومن عظيم أجر الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر قوله ﷺ: «إِنْ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَعْطُونَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِهِمْ؛ يَنْكُرُونَ الْمُنْكَرَ».

ويتعين إنكار المنكر على كل إنسان بحسب قدرته، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

- ٥ -

فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ». فتغيير المنكر يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد.

فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ» [رواه مسلم]. وسمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر)، وقال رضي الله عنه: (بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره).

- ٦ -

وقيل لابن مسعود رحمه الله: من ميت الأحياء؟ فقال: (الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً).

وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مجخياً، كما في حديث حذيفة بن اليمان رحمه الله في الصحيحين: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه».

- ٧ -

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَراً» يدلُّ على أَنَّ الإنكارَ متعلِّقٌ بالرؤية، ومثلها لو كان مستوراً فلم يره، ولكن علم به؛ فلو سَمِعَ صوتَ غناءٍ محرَّمٍ أو آلات المِلاهِي، وعلم المكانَ التي هي فيه، فَإِنَّهُ يُنْكِرُهَا، لِأَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ الْمُنْكَرُ، وعلم موضِعَهُ، فهو كمن رآه، وقد كان عمر رحمه الله إذا سمع صوت دفٍّ أخذ الدرّة وذهب إلى مكان الصوت فإذا أخبر بأنه عرس كفّ عنه.

وأما الإنكار باليد واللسان فيغلط فيه فريقان: فريق من الناس يترك الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ

- ٨ -

إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقد خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الناس على منبر رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾. وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإنني سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدرّون على أن يغيروا، فلا يغيروا، إلا يُوشِكُ أنْ يعمَّهُم الله بعقابٍ» رواه أبو داود. وفي رواية: «إلا أصابهم الله بعقابٍ قبل أن يموتوا». رواه أبو داود وأحمد.

- ٩ -

وإنما موضعها الذي هو موضعها إذا خشي الأمر بالمعروف الفتنة على نفسه، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قيل له: كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال: أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل اتّمسكوا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوام». وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ، إذ ذكر الفتنة، فقال: «إذا رأيتم الناس مرجّتْ عهدُهم، وخفّتْ أماناتهم، وكانوا هكذا» وشبك بين

- ١٠ -

أصابعه، فقامتُ إليه، فقلت: كيف أفعلُ عندَ ذلك، جعلني الله فداك ؟ قال: «الزم بيتك، واملكُ عليك لسانك، وخُذْ بما تُعرفُ، ودع ما تُنكرُ، وعليك بأمر خاصّةٍ نفسك، ودع عنك أمرَ العامّةِ» رواه أبو داود وأحمد.

وكذلك جاء عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إذا اختلفتِ القلوبُ والأهواءُ، وألستُم شيعاً، وذاقَ بعضُكم بأسَ بعضٍ، فيأمرُ الإنسانُ حينئذٍ نفسه، حينئذٍ تأويل هذه الآية، وعن ابن عمر

- ١١ -

رضي الله عنه، قال: هذه الآية لأقوامٍ يحيئون من بعدنا، إن قالوا لم يُقبل منهم، وقال جبير بن نفير: عن جماعة من الصّحابة، قالوا: إذا رأيتَ شحاً مُطاعاً وهوىً متّبعاً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسك، لا يضرُّك من ضلَّ إذا اهتديت.

- ١٢ -

الخطبة الثانية:

وأما الفريق الآخر: يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه ولا حلم ولا صبر، ولا نظر في ما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله، وهو معتد في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم، ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والقتال لأئمة الجور، فكان فسادهم أعظم من صلاحه، لمخالفته أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة والنهي عن قتالهم ما أقاموا

- ١٣ -

الصلاة، وقال: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» [متفق عليه].

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة والخروج عليهم، وترك القتال في الفتنة، خلافاً لأهل الأهواء كالمعتزلة الذين يرون القتال للأئمة من أصول دينهم ويسمونهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

ومن هذا الباب ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبيّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من الأعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه، مستلزمة إزالة

- ١٤ -

معروف أكبر من ذلك، بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه.

ولهذا لما خطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به، حتى كادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج.

فالمؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما

- ١٥ -

يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات: لم يضره ضلال الضال.

وبكل حال يتعين الفقه والرفق والصبر في الإنكار، قال بعض السلف رحمهم الله: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه».

وكما قد قيل: (ليكن أمرك بالمعروف معروفاً، وليكن نهيك عن المنكر غير منكر).

- ١٦ -